سورية الجديدة: من الثورة إلى الدولة

The New Syria: From Revolution to State

تحرير: رمضان يلدرم

Author: Ramazan Yıldırım

الناشر: مركز ستا للدراسات، 2025

Publisher: SETA, 2025

مراجعة: محمود الرنتيسي

Reviewed by: Mahmoud Alrantisi

عدد الصفحات: 368

Pages: 368

كتاب «سورية الجديدة: من الثورة إلى الدولة» من تحرير د. رمضان يلدرم، هو كتاب شارك فيه عدد من الباحثين والكتّاب. حاول أن يقدّم قراءة تحليلية لمسار تاريخي طويل عاشته سورية منذ 2011 في مسار الثورة، بعيدًا عن اختزاله في صور الحرب والدمار فقط، أو في سردية «الحرب الداخلية»، ومن ثَمّ استشراف مرحلة ما بعد الدولة وقضاياها. ينطلق الكتاب من سؤال جوهري: كيف يمكن فهم الثورة السورية، ومآلاتها، ومآل الدولة السورية نفسها؟ وهو يحاول الوصول إلى هذه الإجابات من خلال تحليل التطورات من زاوية الفاعلين المحليين، والتدافعات الإقليمية والدولية، ثم احتمالات الغد وما بعد الحرب.

قبل تقديم هيكل الكتاب، من المهمّ الإشارة إلى أن هذا الكتاب ليس جهدًا منفصلًا، بل هو متكامل مع الدور الذي قامت به مجلة «رؤية تركية» ومركز ستا للبحوث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إبقاء الملف السوري حيًّا على أجندة البحث والنقاش. وقد خصّصت المجلة في السنوات الأخيرة أعدادًا خاصة وملفات موضوعية عن الثورة السورية، وعن الدولة والعدالة، وعن اللاجئين، وعن العلاقات التركية–السورية، واستكتبت في ذلك باحثين سوريين وأتراكًا وعربًا.

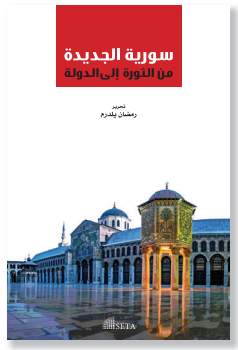

هذه الإشارة مهمة لفهم الكتاب نفسه؛ فهو ليس انطلاقة من فراغ، بل بناء فوق تراكم معرفي سابق؛ فالمقالات والدراسات التي نُشِرت في مجلة «رؤية تركية» شكّلت بنك أسئلة وخبرات، وجاء هذا الكتاب ليعيد تنظيمها في بنية واحدة متماسكة، تعالج مسار «من الثورة إلى الدولة» من زوايا متعددة: تاريخية، وسياسية، وإقليمية، ومستقبلية. وبهذا المعنى، الكتاب ليس مجرد توثيق، بل هو محاولة للحفاظ على «ذاكرة تحليلية» للثورة السورية، في وقت حاولت فيه أطراف كثيرة طرح روايات مختلفة. ولعل مشاركة مجموعة متنوعة من الكتّاب فيه من زوايا ووجهات نظر متعددة تخدم فكرة التنوع الإيجابي.

DOI:10.36360/1560-015-002-012

CC BY NC

يبدأ الكتاب بتوطئة تضع سورية في سياق أوسع هو موجة الربيع العربي؛ هذه الموجة التي اندفعت عام 2011 من تونس ثم من مصر وليبيا واليمن وسورية، حملت شعارات واضحة: الحرية، والعدالة، والكرامة، والتوزيع العادل للثروة. ولعل النقطة المركزية في هذا المـدخل أن هذه الثورات لم تكن «انفجارًا مفاجئًا»، بل ثمرة غضب متراكم لعقود من القمع، والفساد، والتهميش، والفقر في مجتمعات تمتلك موارد كبيرة، لكنها تعيش في ظروف بائسة.

يذكّر المدخل بأن النقاش ما يزال مستمرًّا حول ما إذا كانت ثورات الربيع العربي قد انتهت أو أُجهِضت، أو أنها تحوّلت إلى حركة اجتماعية طويلة النفس ستستمر طالما بقيت أسبابها. كثير من المكاسب المـحدودة في الحريّة السياسية تراجعت أو أُبطِلت، وأنظمة عديدة استطاعت -بدعم إقليمي ودولي- أن تعيد إنتاج نفسها، لكن مطالب الحرية والعدالة لم تُمـحَ، بل استمرّت في أشكال وخطابات مختلفة. في هذه الصورة، تأتي سورية بوصفها إحدى الحالات الأكثر تعقيدًا: ثورة واجهت بنية استبدادية راسخة، وحظرت المجتمع المدني عقودًا، ثم تحوّل البلد إلى ساحة لتقاطع المشروعات الإقليمية والدولية.

يذكّر الكتاب أيضًا بأن الثورة السورية ليست مجرد مشاهد للاجئين والبراميل المتفجرة والتنظيمات المـتطرفة، بل هي أساسًا «لحظة قرار تاريخية» لشعبٍ انتفض على نظام أمني-عسكري صادر السياسة والمجتمع معًا عشرات السنين. هذا التأكيد على جوهر الثورة مهم؛ لأنه يعيد الاعتبار إلى فعل السوريين، بدل أن تختزل الحكاية في سرديات خارجية تكتبها القوى المتدخلة.

يقع الكتاب في ثلاثة فصول رئيسة، يمكن النظر إليها بوصفها طبقات متراكبة وهي: الفاعلون في عهد الثورة وما قبلها، والدور الدولي الإقليمي، وسورية الغد: من الثورة إلى الدولة. والفكرة التي يعبّر عنها هذا البناء أن فهم سورية الجديدة يقتضي المرور بهذه المـستويات الثلاثة: من الداخل إلى الخارج، ثم إلى المستقبل.

يركّز الفصل الأول على الإجابة عن هذين السؤالين: مَن «اللاعبون» في المشهد السوري، قبل الثورة وفي إثنائها؟ وكيف تشكّلوا وتفاعلوا؟ يضم الفصل مجموعة بحوث لكتّاب سوريين لهم خبرة طويلة في متابعة الملف، إذ تناول د. رضوان زيادة الفاعلين في سورية في مرحلة ما بعد الاستقلال، وكيفية تشكل البنية السياسية التي مهّدت لاحقًا لصعود البعث، ثم لتركيز السلطة في يد الحلقة الأمنية-العائلية. هذا يعيد القارئ إلى الخلفية الأعمق من 2011، ويُظهر أن الأزمة لم تُولَد مع الثورة بل سبقتها.

في السياق ذاته قدم د. مروان قبلان قراءة في الجـغرافيا السياسية للثورة السورية؛ وبيّن فيها كيفية أداء الخـصائص الجغرافية والديموغرافية للأقاليم السورية المختلفة دورًا في شكل الاحتجاجات، وفي تعقّد مسارات السيطرة والنفوذ بين النظام والمعارضة والقوى الخارجية.

وعلى مستوى تحوّل الثورة من حركة احتجاج سلمية إلى معارضة مسلحة، ناقش د. معن طلاع كيفية حصول هذا الانتقال، والعوامل الداخلية والخارجية التي دفعت إليه، وما رافق ذلك من تغيّر في خطاب الثورة وأدواتها... وسلّط الباحث عباس شريفة الضوء على دور تنظيم داعش، مبيّنًا كيف

مثّل دخول التنظيم على المشهد محاولة خطيرة لخطف الثورة وتشويهها، وكيف استخدمه النظام وبعض القوى الدولية لتغيير طبيعة الصراع في نظر الرأي العام العالمي. أما الباحث فراس فحّام فاختتم هذا الفصل بدراسة معمّقة لنشاط الفصائل المسلحة ضد نظام الأسد منذ 2011 حتى 2023، متتبعًا تطور هذه الفصائل، وعلاقاتها، وانقساماتها، وأثر ذلك في إمكانية بلورة بديل عسكري- سياسي موحّد.

إذن قدم الفصل الأول ما هو أشبه بلوحة للداخل السوري لم يبدُ فيها النظام والمعارضة فقط، بل بدت فيها كذلك شبكة من الفاعلين السياسيين والعسكريين والاجتماعيين يختلفون في الأهداف والخلفيات والقدرات، وكان تفاعلهم – والتدخلات فوقهما- جزءًا من تفسير مسار الثورة ومآلاتها.

أما الفصل الثاني فقد خرج بالقارئ من الداخل إلى المسرح الأوسع: كيف تعاملت القوى الإقليمية والدولية مع الثورة السورية؟ وكيف تحوّل البلد إلى عقدة تقاطع لمشروعات متنافسة؟ وقد تضمن هذا الفصل أربع دراسات، هي: دراسة محمود علوش حول التدخل الروسي والإيراني في سورية، من حيث دوافعه الإستراتيجية، وأدواته، وتأثيره في ميزان القوى الميداني والسياسي؛ إذ يبيّن كيف أسهم الحضور العسكري الروسي المباشر، والدعم الإيراني متعدد الأبعاد في بقاء النظام، وفي تعقيد فرص تسوية انتقالية حقيقية؛ ودراسة د. غسان هيتو عن سياسة الاتحاد الأوروبي تجاه سورية منذ 2011 حتى 2025، مع تسليط الضوء على تذبذب المواقف بين العقوبات، والدعم الإنساني، والاعتبارات الأمنية (الهجرة، الإرهاب)، وعلى محدودية تأثير أوروبا مقارنة بالولايات المتحدة وروسيا وتركيا وإيران.

وشارك في دراسات الكتاب عدد من الأكاديميين الأتراك بالإضافة إلى الباحثين والأكاديميين السوريين؛ وفي هذا السياق ناقش د. كمال إنات سياسة تركيا تجاه «سورية الجديدة» من موقعها بوصفها جارًا مباشرًا، يستضيف أكبر عدد من اللاجئين السوريين، وبوصفها فاعلًا إقليميًّا له مصالح أمنية وإستراتيجية عميقة في الشمال السوري. وقد تتبعت الدراسة التحولات في السياسة التركية من دعم المعارضة سياسيًّا وعسكريًّا، إلى مقاربة أكثر تعقيدًا تتضمن الحديث عن إعادة التطبيع، مع استمرار الحديث عن «سورية جديدة» لا تُترَك بالكامل لمعادلة النظام وحلفائه، وصولًا إلى المرحلة الأخيرة التي دعمت عملية انتصار المجال الثوري.

وقدمت دراسة د. محيي الدين أتامان قراءة أشمل لمعنى الثورة السورية وتأثيراتها الإقليمية: كيف غيّرت توازنات القوى؟ وكيف أعادت تعريف أدوار دول مثل تركيا والسعودية وإيران؟ وكيف تركت أثرًا طويل الأمد في النقاش حول الشرعية، والسيادة، والتدخل الخارجي في المنطقة؟

يساعد هذا الفصل القارئ على فهم أن تعثّر الثورة السورية لم يكن نتيجة اختلالات داخلية فقط، بل حصيلة تداخل حسابات قوى كبرى وإقليمية أيضًا رأت في سورية ساحة صراع على النفوذ، أكثر منها ساحة لإسناد مطالب تغيير ديمقراطي.

وبينما ركز الفصلان الأول والثاني على المراحل السابقة فقد حاول الفصل الثالث التركيز على الاستشراف، وكيف يمكن التفكير في «سورية الغد» بصورة واقعية دون إنكار عمق الجراح، وقد تضمن الفصل مجموعة بحوث بدأت بدراسة محرر الكتاب د. رمضان يلدرم الذي ناقش مستقبل الثورة السورية

في ضوء المخاطر والفرص؛ وذكر الشروط التي قد تجـعل من أي تسوية سياسية جزءًا من مسار تغيير حقيقي لا مجرد إعادة تدوير للنظام. ولعل أهم ما جاء في هذه الدراسة هو الانتباه إلى عملية استيعاب التركيبة الدينية والإثنية في سورية بعيدًا عن المحاصصة، ولكن عن طريق نهج وطني شامل لا يهمل هذه الانتماءات؛ وذلك لكي تتغلب المبادئ المشتركة على الهشاشة المـجتمعية بين الشرائح المختلفة، إضافة إلى الجوانب الأمنية الداخلية والخارجية التي لا بدّ من التنبه لها لتجنب زعزعة استقرار عملية الانتقال.

ودرس د. نجيب الغضبان تحولات السياسة الخارجية السورية في ضوء التحديات والآفاق: ما الخـيارات المتاحة أمام سورية جديدة تريد أن تخرج من عزلة دولية وإقليمية، وأن تعيد صياغة علاقاتها مع الجوار والعالم؟

وتناول الباحثان د. مراد يشلطاش ود. نبي ميش محـددات السياسة الخارجية السورية من زاوية «الاستمرار والتغير»: ما العناصر التي ستبقى من الإرث السابق (الجغرافيا، الصراع مع إسرائيل، العلاقات مع تركيا والعراق ولبنان)؟ وما الذي يمكن أن يتغيّر إذا ظهرت نخب جديدة ورؤية مختلفة للدولة؟

وفي ملف العلاقة بين الدين والدولة ناقش د. فداء الدين المجذوب ملف الدين والدولة والعلاقة بينهما: كيف يمكن التفكير في صيغة تضمن الحرية الدينية والتعدد، وتمنع تديين الصراع السياسي أو تسييس الدين بما يعيد إنتاج الاستبداد أو العنف؟

وتناول الباحثان د. أحمد قربي وأ. نورس العبدالله العدالة الانتقالية: معضلاتها، وآليات التعاطي معها في ضوء تجارب دول أخرى، وكيف يمكن لسورية أن تبني نموذجًا يوازن بين محاسبة المجرمين، ومنع الإفلات من العقاب، وبين تجنّب تكرار دورة الانتقام والعنف؟

أما آخر أوراق الكتاب فاختتمها الباحث أسامة شيخ علي بدراسة حول مستقبل المكونات الدينية والإثنية في سورية الجديدة: العرب، والكرد، والدروز، وغيرهم؛ وكيف يمكن صياغة عقد اجتماعي يعترف بالتعددية ويحمي الحقوق الفردية والجماعية معًا؟

وتمـيز الفصل الأخير بأنه أخرج الكتاب من الماضي إلى أفق المستقبل، وأكّد أن الحديث عن «سورية الجديدة» ليس شعارًا فحسب، بل عملية فكرية وسياسية معقدة تتطلب إعادة التفكير في شكل الدولة، وفي موقع الجيش والأمن، وفي معنى المواطنة المشتركة بعد كل ما حصل.

يتميز هذا الكتاب أولًا، بتنوّع الكتّاب فهو يجمع بين باحثين سوريين عاشوا التجربة أو واكبوها عن قرب، وباحثين أتراك وعرب يتابعون الملف من زوايا إقليمية ودولية، مما يخلق حوارًا بين الداخل والخارج بدل احتكار الرواية من طرف واحد.

من زاوية ثانية، وازن الكتاب بين السرد التاريخي والتحليل السياسي والاستشراف؛ فلم يقتصر على توثيق الأحداث، ولم يكتف بالتنظير المجرد، بل حاول أن يربط بين مسار الفاعلين وسياسات القوى الإقليمية والدولية وما يمكن أن يترتب على ذلك في المستقبل.

ثالثًا، أكد الكتاب أن كل نقاش جدي حول العدالة، والهوية، وإعادة البناء، هو جزء من المعركة على المستقبل، حتى مع نجاح التغيير.

ولعل النقطة الرابعة هي أن الكتاب يقدّم للقارئ العربي، وبخاصة المهتم بالسياسة التركية وبالتحولات الإقليمية، مادةً تساعده على فهم كيف ترى دوائر بحثية تركية وعربية مسألة «سورية الجديدة» في لحظة إعادة رسم خرائط المنطقة بعد حروب متتالية.

وختامًا يمكن الإشارة إلى عدة نقاط قد تكون بحاجة إلى مزيد من الإطلالة عليها ولم ترد في الكتاب، مثل: ندرة وجود مقارنات منهجية مع حالات أخرى انتقلت فيها بلدان من الحرب إلى الدولة، مثل البوسنة وجنوب إفريقيا وغيرهما للاستفادة من تجاربها في العدالة الانتقالية والديمقراطية ومستقبل المكونات وغيرها. من جانب آخر غاب عن الكتاب تسليط الضوء على المجتمع المدني السوري الجديد ودوره، وقد تكون هذه عناوين لدراسات أو كتب أخرى لاحقًا.

TURKUVAZ
MEDYA GRUBU

SABAH